

طُفُولَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يُنْفِخُ : الرُّوحُ : هُوَ قُوَّةُ الْحَيَاةِ
بِرِيحِهِ : الرُّوحُ : هُوَ قُوَّةُ الْحَيَاةِ
أَنْفِثَ : الرُّوحُ : هُوَ قُوَّةُ الْحَيَاةِ

المؤسسة العربية الحديثة

الطبيعية والفنسية والتجريبية

1947-1948 - 1949-1950 - 1951-1952 - 1953-1954 - 1955-1956 - 1957-1958 - 1959-1960 - 1961-1962 - 1963-1964 - 1965-1966 - 1967-1968 - 1969-1970 - 1971-1972 - 1973-1974 - 1975-1976 - 1977-1978 - 1979-1980 - 1981-1982 - 1983-1984 - 1985-1986 - 1987-1988 - 1989-1990 - 1991-1992 - 1993-1994 - 1995-1996 - 1997-1998 - 1999-2000 - 2001-2002 - 2003-2004 - 2005-2006 - 2007-2008 - 2009-2010 - 2011-2012 - 2013-2014 - 2015-2016 - 2017-2018 - 2019-2020 - 2021-2022 - 2023-2024 - 2025-2026 - 2027-2028 - 2029-2030 - 2031-2032 - 2033-2034 - 2035-2036 - 2037-2038 - 2039-2040 - 2041-2042 - 2043-2044 - 2045-2046 - 2047-2048 - 2049-2050 - 2051-2052 - 2053-2054 - 2055-2056 - 2057-2058 - 2059-2060 - 2061-2062 - 2063-2064 - 2065-2066 - 2067-2068 - 2069-2070 - 2071-2072 - 2073-2074 - 2075-2076 - 2077-2078 - 2079-2080 - 2081-2082 - 2083-2084 - 2085-2086 - 2087-2088 - 2089-2090 - 2091-2092 - 2093-2094 - 2095-2096 - 2097-2098 - 2099-2100 - 2101-2102 - 2103-2104 - 2105-2106 - 2107-2108 - 2109-2110 - 2111-2112 - 2113-2114 - 2115-2116 - 2117-2118 - 2119-2120 - 2121-2122 - 2123-2124 - 2125-2126 - 2127-2128 - 2129-2130 - 2131-2132 - 2133-2134 - 2135-2136 - 2137-2138 - 2139-2140 - 2141-2142 - 2143-2144 - 2145-2146 - 2147-2148 - 2149-2150 - 2151-2152 - 2153-2154 - 2155-2156 - 2157-2158 - 2159-2160 - 2161-2162 - 2163-2164 - 2165-2166 - 2167-2168 - 2169-2170 - 2171-2172 - 2173-2174 - 2175-2176 - 2177-2178 - 2179-2180 - 2181-2182 - 2183-2184 - 2185-2186 - 2187-2188 - 2189-2190 - 2191-2192 - 2193-2194 - 2195-2196 - 2197-2198 - 2199-2200 - 2201-2202 - 2203-2204 - 2205-2206 - 2207-2208 - 2209-2210 - 2211-2212 - 2213-2214 - 2215-2216 - 2217-2218 - 2219-2220 - 2221-2222 - 2223-2224 - 2225-2226 - 2227-2228 - 2229-2230 - 2231-2232 - 2233-2234 - 2235-2236 - 2237-2238 - 2239-2240 - 2241-2242 - 2243-2244 - 2245-2246 - 2247-2248 - 2249-2250 - 2251-2252 - 2253-2254 - 2255-2256 - 2257-2258 - 2259-2260 - 2261-2262 - 2263-2264 - 2265-2266 - 2267-2268 - 2269-2270 - 2271-2272 - 2273-2274 - 2275-2276 - 2277-2278 - 2279-2280 - 2281-2282 - 2283-2284 - 2285-2286 - 2287-2288 - 2289-2290 - 2291-2292 - 2293-2294 - 2295-2296 - 2297-2298 - 2299-2300 - 2301-2302 - 2303-2304 - 2305-2306 - 2307-2308 - 2309-2310 - 2311-2312 - 2313-2314 - 2315-2316 - 2317-2318 - 2319-2320 - 2321-2322 - 2323-2324 - 2325-2326 - 2327-2328 - 2329-2330 - 2331-2332 - 2333-2334 - 2335-2336 - 2337-2338 - 2339-2340 - 2341-2342 - 2343-2344 - 2345-2346 - 2347-2348 - 2349-2350 - 2351-2352 - 2353-2354 - 2355-2356 - 2357-2358 - 2359-2360 - 2361-2362 - 2363-2364 - 2365-2366 - 2367-2368 - 2369-2370 - 2371-2372 - 2373-2374 - 2375-2376 - 2377-2378 - 2379-2380 - 2381-2382 - 2383-2384 - 2385-2386 - 2387-2388 - 2389-2390 - 2391-2392 - 2393-2394 - 2395-2396 - 2397-2398 - 2399-2400 - 2401-2402 - 2403-2404 - 2405-2406 - 2407-2408 - 2409-2410 - 2411-2412 - 2413-2414 - 2415-2416 - 2417-2418 - 2419-2420 - 2421-2422 - 2423-2424 - 2425-2426 - 2427-2428 - 2429-2430 - 2431-2432 - 2433-2434 - 2435-2436 - 2437-2438 - 2439-2440 - 2441-2442 - 2443-2444 - 2445-2446 - 2447-2448 - 2449-2450 - 2451-2452 - 2453-2454 - 2455-2456 - 2457-2458 - 2459-2460 - 2461-2462 - 2463-2464 - 2465-2466 - 2467-2468 - 2469-2470 - 2471-2472 - 2473-2474 - 2475-2476 - 2477-2478 - 2479-2480 - 2481-2482 - 2483-2484 - 2485-2486 - 2487-2488 - 2489-2490 - 2491-2492 - 2493-2494 - 2495-2496 - 2497-2498 - 2499-2500 - 2501-2502 - 2503-2504 - 2505-2506 - 2507-2508 - 2509-2510 - 2511-2512 - 2513-2514 - 2515-2516 - 2517-2518 - 2519-2520 - 2521-2522 - 2523-2524 - 2525-2526 - 2527-2528 - 2529-2530 - 2531-2532 - 2533-2534 - 2535-2536 - 2537-2538 - 2539-2540 - 2541-2542 - 2543-2544 - 2545-2546 - 2547-2548 - 2549-2550 - 2551-2552 - 2553-2554 - 2555-2556 - 2557-2558 - 2559-2560 - 2561-2562 - 2563-2564 - 2565-2566 - 2567-2568 - 2569-2570 - 2571-2572 - 2573-2574 - 2575-2576 - 2577-2578 - 2579-2580 - 2581-2582 - 2583-2584 - 2585-2586 - 2587-2588 - 2589-2590 - 2591-2592 - 2593-2594 - 2595-2596 - 2597-2598 - 2599-2600 - 2601-2602 - 2603-2604 - 2605-2606 - 2607-2608 - 2609-2610 - 2611-2612 - 2613-2614 - 2615-2616 - 2617-2618 - 2619-2620 - 2621-2622 - 2623-2624 - 2625-2626 - 2627-2628 - 2629-2630 - 2631-2632 - 2633-2634 - 2635-2636 - 2637-2638 - 2639-2640 - 2641-2642 - 2643-2644 - 2645-2646 - 2647-2648 - 2649-2650 - 2651-2652 - 2653-2654 - 2655-2656 - 2657-2658 - 2659-2660 - 2661-2662 - 2663-2664 - 2665-2666 - 2667-2668 - 2669-2670 - 2671-2672 - 2673-2674 - 2675-2676 - 2677-2678 - 2679-2680 - 2681-2682 - 2683-2684 - 2685-2686 - 2687-2688 - 2689-2690 - 26

أشبال الإسلام

1

الطفولة، مرحلة مهمة للغاية. وهي ليست مجرد مرحلة للهو واللعب وتضييع الوقت فيما لا يفيد، ولكنها مرحلة إعداد جادة لما سيكون عليه الإنسان في شبابه وفي رجولته. وفي هذه السلسلة تطالع:

صوراً مختلفة للنبيوع والتفوق والبطولة الخارقة والرجولة المبكرة عند «أبطال صغار». صنعوا المعجزات برغم حداثة أعمارهم، فكان من بينهم: العالم، والمحارب الشجاع، وقائد الجيش.

إن «الطفل الصغير» يستطيع أن يعرف دوره في الحياة، من خلال مطالعته لهذه النماذج المشرقة، ويستطيع أن يقدم الكثير من الأعمال النافعة لنفسه ولأسرته ولوطنه.

وسوف يجد الطفل المتعة في أثناء قراءة هذه السلسلة التي كتبت بأسلوب قصصي مشوق ولغة أدبية شفافة.

وجيه يعقوب السيد

مدرس مساعد بكلية الآداب

جامعة عين شمس

ﷺ

طفولة الرسول

بقلم: أ. ووجيه يعقوب السيد

بريشة: أ. عبد الشافي سيد

إشراف: أ. حمدي مصطفى

الناشر

المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

ت: ٢٨٧١٩٧ - ٢٨٣٥٥٤ - ٥٩٠٨٣٥٥

فاكس: ٢٨٧٧٠٠٢

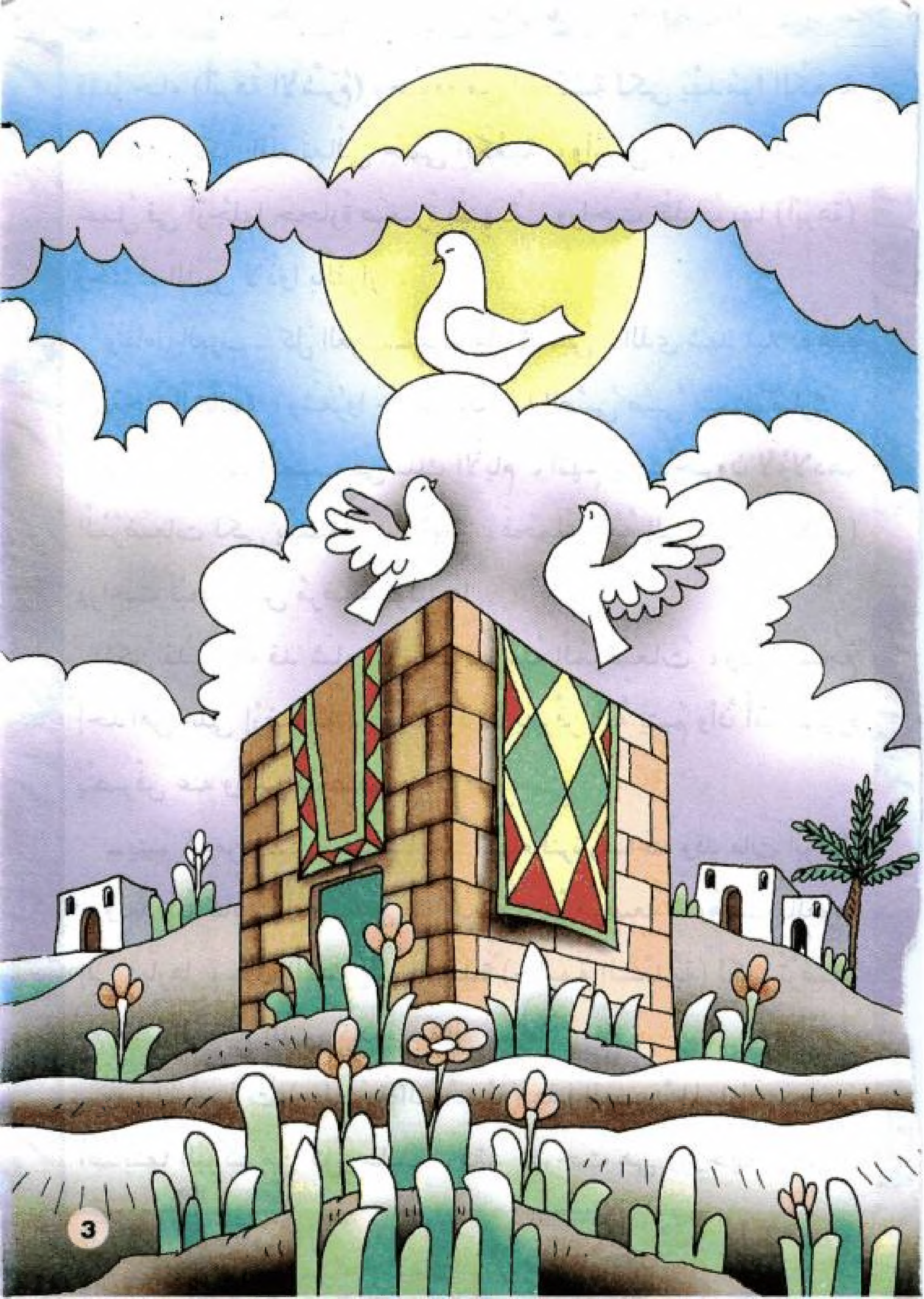
قَدْ تَعَجَزُ الْكَلِمَاتُ عَنْ تَصْوِيرِ مَشَاعِرِ الْمَرْءِ ، وَهُوَ يُحَاوِلُ أَنْ
يَتَحَدَّثَ عَنْ طَرَفٍ مِنْ حَيَاةِ (مُحَمَّد) ﷺ .

النُّورُ الَّذِي انْبَثَقَ مِنْ (مَكَّة) مِنْ قَلْبِ الظَّلَامِ ، فَأَضَاءَ الْقُلُوبَ
وَالْعُقُولَ قَبْلَ أَنْ يُضِيءَ الْمَكَانَ .

الشَّمْسُ الَّتِي أَشْرَقَتْ ، فَسَرَى ضَوْوُهَا وَدَفِئُهَا فِي الْأَفْتَدَةِ وَالْجَوَانِحِ .
طُفُولَتُهُ ﷺ هِيَ النَّمُودَجُ الْأَمَثَلُ وَالْقُدْوَةُ الْحَسَنَةُ ، الَّتِي يَجِبُ أَنْ
يَقْتَدِيَ بِهَا كُلُّ أَطْفَالِ الدُّنْيَا .

ذَلِكَ لِأَنَّهَا كَانَتْ طُفُولَةً أَعْظَمَ إِنْسَانٍ مَشَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ ..
طُفُولَةٌ اجْتَمَعَتْ فِيهَا كُلُّ مَعَانِي الْكَمَالِ وَالْعِظَمَةِ وَالْجَلَالِ . ظَهَرَتْ
فِيهَا الرُّجُولَةُ الْمُبَكِّرَةُ ، وَالْبَطُولَةُ ، وَالْإِحْسَاسُ بِالمَسْئُولِيَّةِ .
وَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَكُونَ الْبَدْءُ قَبَسًا مِنْ نُورِ (مُحَمَّد) صَلَوَاتُ رَبِّي
وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ..

وَهُوَ لَا يَزَالُ جَنِينًا فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، مَاتَ أَبُوهُ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
عَبْدِ الْمَطْلِبِ) ، وَكَانَتْ أُمُّهُ (أَمْنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ) تَشْعُرُ بِأَنَّهَا تَحْمِلُ فِي
أَحْشَائِهَا نُورًا ، وَتَشْعُرُ شُعورًا أَكِيدًا بِأَنَّ الَّذِي تَحْمِلُهُ لَيْسَ طِفْلًا عَادِيًّا .
وَبَعْدَ انْقِضَاءِ أَشْهُرِ الْحَمْلِ ، وَضَعَتْ (أَمْنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ) أَفْضَلَ
مَخْلُوقٍ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ الْمُوَافِقِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ .
وَفِي هَذَا الْعَامِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ (مُحَمَّدٌ) شَهِدَ الْعَرَبُ مُعْجَزَةً خَارِقَةً .



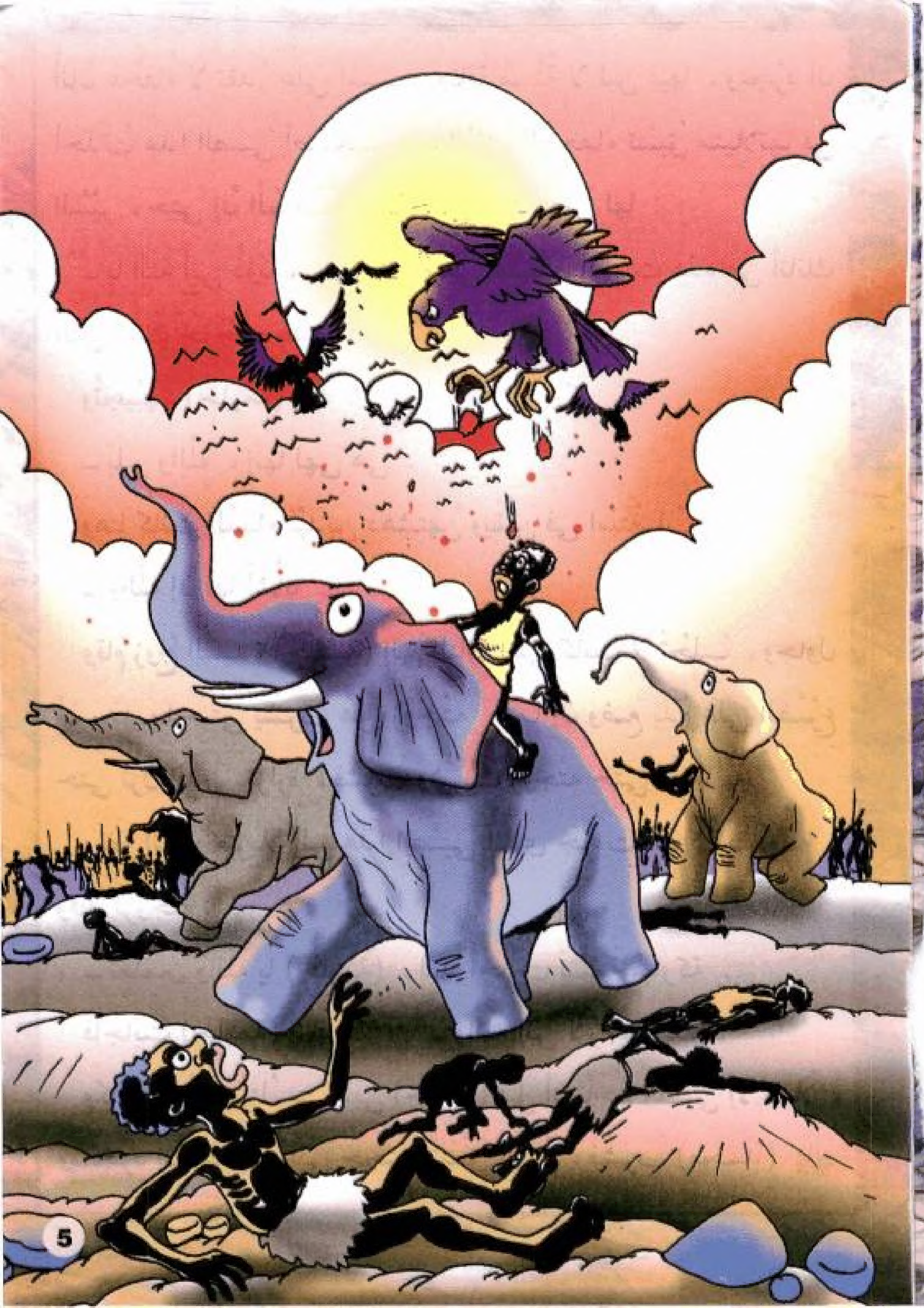
فقد جاء (أبرهة الأشرم) وجنوده من الحبشة لكي يهدموا الكعبة المشرفة ، لكن الله تعالى حمى الكعبة ، وأرسل طيوراً من السماء تحمل في أرجلها حجارة صغيرة ملتهبة ، وراحت تقذف بها (أبرهة) وجنوده الذين لاذوا بالفرار .

وتفاءل العرب - كل العرب - بمولد هذا الصبي ، الذي شهد ميلاده هذه المعجزة الخالدة ، وشعروا جميعاً بأن هذا الصبي صبي ميمون مبارك . وكانت عادة العرب في تلك الأيام ، أنهم يستأجرون لأولادهم الممرضات لكي ينشئوا نشأة قوية ، فحملته أمه إلى سوق (عكاظ) وراحت تبحث عن مربية لوليدها .

لكن قدر الله قد شاء أن تنصرف عنه الممرضات ، ولم تشجع إحداهن على إرضاعه ، فمجرد أن يعرفن أنه يتيم وأن أمه فقيرة ينصرفن عنه ويقلن لبعضهن :

- يتيم ؟ ومن الذي سيكافئنا بعد انتهاء فترة رضاعته وقد مات أبوه ؟! وبعد أن كادت أمه تيأس من أن تجد له مربية ، وهمت بالعودة إلى ديارها ، ساق القدر إليه السيدة (حليمة السعدية) لكي ترضعه مع ابنها الرضيع الذي كان في مثل عمره .

ومما إن أخذت (حليمة السعدية) هذا الصبي المبارك ، حتى أصابتها البركة من كل جانب ، فقد خرجت هي وزوجها ومعهما



أَتَانُ عَجَفَاءُ لَا تَقْدُرُ عَلَى الْمَسِيرِ ، وَنَاقَةٌ مُسِنَّةٌ لَا لَبَنَ فِيهَا ، وَبِمَجْرَدٍ أَنْ
أَخَذَتْ هَذَا الصَّبِيَّ أَصْبَحَتْ هَذِهِ الْأَتَانُ الْعَجَفَاءُ تَسْبِقُ مِثْلَاتَهَا فِي
السَّيْرِ ، حَتَّى إِنَّ الْمُرْضَعَاتِ لَاحْظْنَ ذَلِكَ فَقُلْنَ لَهَا :

- يَا ابْنَةَ أَبِي ذُوئَيْبٍ ، وَيْحَكَ أَرَبِعَى عَلَيْنَا ، أَلَيْسَتْ هَذِهِ هِيَ أَتَانُكَ
الَّتِي كُنْتَ خَرَجْتَ عَلَيْهَا ؟

وَتُجِيبُهُمْ (حَلِيمَةُ) :

- بَلَى وَاللَّهِ ، إِنَّهَا لَهِيَ هِيَ .

وَهُنَا كَانَتْ النِّسَاءُ يُبْدِينَ دَهْشَتَهُنَّ وَيَقُلْنَ فِي اسْتِغْرَابٍ :

- وَاللَّهِ إِنَّ لَهَا لَشَأْنًا .

وَقَامَ زَوْجُ السَّيِّدَةِ (حَلِيمَةُ) إِلَى النَّاقَةِ الَّتِي كَانَتْ لَا تُحْلِبُ ، وَحَافِلُ
أَنْ يَحْلِبَهَا حَتَّى يَشْرَبَ هُوَ وَزَوْجَتُهُ ، وَمَا إِنْ وَضَعَ يَدُهُ عَلَى الضَّرْعِ
حَتَّى نَزَلَ اللَّبَنُ بِغَزَارَةٍ ، فَشَرِبَ وَشَرَبَتْ زَوْجَتُهُ حَتَّى شَبِعَا .

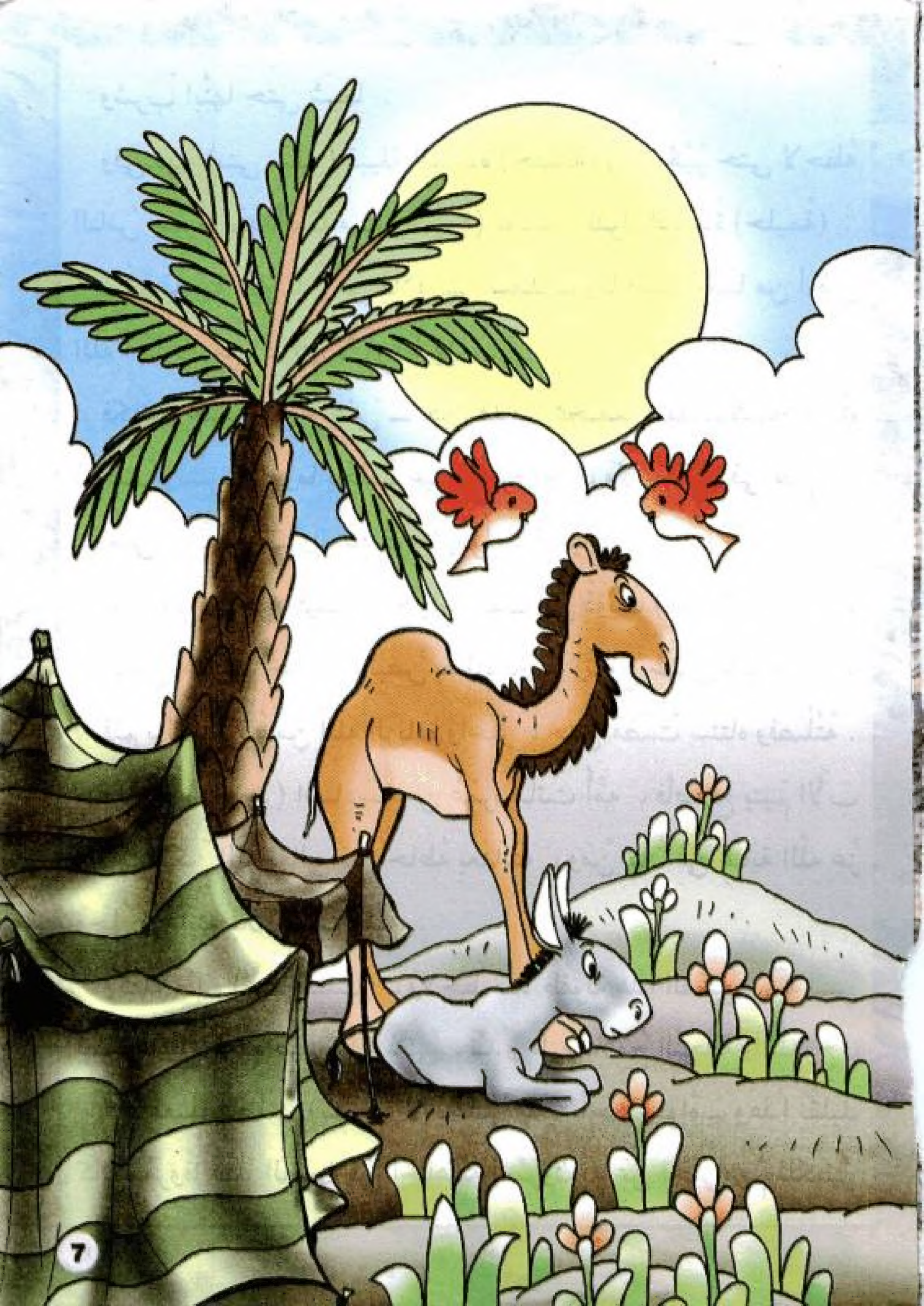
وَنَظَرَ الزَّوْجُ طَوِيلًا إِلَى هَذَا الصَّبِيِّ الَّذِي جَاءَتْ الْبَرَكَةُ بِقُدُومِهِ ،
وَقَالَ لَزَوْجَتِهِ :

- تَعْلَمِينَ وَاللَّهِ يَا (حَلِيمَةُ) ، لَقَدْ أَخَذَتْ نَسْمَةٌ مُبَارَكَةٌ .

فَأَجَابَتْ (حَلِيمَةُ) : - وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو ذَلِكَ .

وَكَانَ اللَّبَنُ لَا يَنْزِلُ مِنْ ثَدْيِي (حَلِيمَةُ) قَبْلَ أَنْ تَأْخُذَ الصَّبِيَّ إِلَّا قَلِيلًا ،

وَبِمَجْرَدٍ أَنْ وَضَعَتْهُ عَلَى حِجْرِهَا تَدَفَّقَ اللَّبَنُ ، فَشَرِبَ (مُحَمَّدٌ) ﷺ



وشرب ابنها حتى شبعًا .

وفى ديار (بنى سعد) قبيلة السيدة (حليمة) زاد الخير حتى لاحظته
الناس جميعًا بعد أن قدمت (حليمة) بمحمد . تقول السيدة (حليمة) :
- ثم قدمنا منازلنا ، من بلاد بنى سعد - وما أعلم أرضًا من أرض
الله أجذب منها - أى لا زرع فيها ..

فكانت غنمى تروح على - حين قدمنا بمحمد معنا - شباعًا لبنًا
فنهلب ونشرب ، وما يحلب غيرنا قطرة لبن ، ولا يجدوها فى ضرع .
حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم :

- ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب (حليمة السعدية) .
فتروح أغنامهم جياعًا ما تبض بقطرة لبن ، وتروح غنمى شباعًا لبنًا .
فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير ، حتى مضت سنتاه وفصلته .
ولما بلغ (محمد) السادسة من عمره ماتت أمه ، فأصبح يتيم الأب
والأم ، لكن الله تعالى قد أحاطه بعنايته ، ومن كان فى عناية الله عز
وجل ورعايته فلا خوف عليه .

وكفله جده (عبد المطلب) ، ولاحظ منذ طفولة هذا الصبى ، أنه ليس
صبياً عادياً ، لكنه صبى نابه ذكى ، تبدو عليه ملامح النجابة والطموح .
كان لعبد المطلب (بساط) لا يجلس عليه أحد سواه - وهذا تقليد
كان معروفًا عند العرب فى الجاهلية يعبرون به عن احترامهم للكبير



وَتَقْدِيرُهُمْ لِمَكَانَتِهِ . وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَبْنَاءِ (عَبْدِ الْمُطْلَبِ) يَجْرُؤُ عَلَى
الْجُلُوسِ عَلَى هَذَا الْبِساطِ .

لَكِنْ (عَبْدُ الْمُطْلَبِ) كَانَ يَأْخُذُ حَفِيدَهُ وَيُجْلِسُهُ عَلَى هَذَا الْبِساطِ ، أَوْ كَانَ
هَذَا الْحَفِيدُ يَجْلِسُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ عَلَيْهِ ، وَإِذَا مَا حَاوَلَ أَحَدٌ أَغْمَامِهِ
أَنْ يَمْنَعَهُ كَانَ (عَبْدُ الْمُطْلَبِ) يَزْجُرُهُ وَيَقُولُ :

- دَعُوهُ ، فَإِنَّ دَمَ السِّيَادَةِ يَجْرَى فِي عُرُوقِهِ ، وَرُوحُ الْمَجْدِ يَمْلَأُ جَوَانِحَهُ ،
وَالنُّزُوعُ إِلَى الرَّفْعَةِ يَدْفَعُ بِهِ إِلَى الْمَكَانِ الْعَالِيِّ .

وَكَانَ أَبْنَاءُ (عَبْدِ الْمُطْلَبِ) يُلِحُّونَ عَلَيْهِ فِي السُّؤَالِ لِكَيْ يَفْسِّرَ لَهُمْ ذَلِكَ ،
وَلِمَاذَا لَمْ يَخْتَصْ أَحَدًا غَيْرَ (مُحَمَّدٍ) بِهَذِهِ الْمَكَانَةِ ، فَكَانَ يُجِيبُهُمْ قَائِلًا :

- لَقَدْ رَأَيْتُ فِي مَنَامِي كَأَنَّ سِلْسِلَةً مِنْ فِضَّةٍ خَرَجَتْ مِنْ ظَهْرِي ،
لَهَا طَرَفٌ فِي السَّمَاءِ وَطَرَفٌ فِي الْأَرْضِ ، وَطَرَفٌ فِي الْمَشْرِقِ وَطَرَفٌ
فِي الْمَغْرِبِ ، ثُمَّ كَانَهَا شَجَرَةً ، عَلَى كُلِّ وَرْقَةٍ مِنْهَا نُورٌ .

وَإِذَا أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ كَانَتْهُمْ يَتَعَلَّقُونَ بِهَا وَيَحْمَدُونَهَا .
وَرَأَيْتُ أَنَّ رَجُلًا يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِي ، تَدِينُ لَهُ الْعَرَبُ بِالطَّاعَةِ ،
وَتَعْتَرِفُ لَهُ بِالْفَضْلِ ، وَتُذْعِنُ لَهُ بِالشَّرَفِ ، وَتُؤْمِنُ لَهُ بِالسُّلْطَانِ .

كَانَ هَذَا الْحَدِيثُ الْهَامِسُ يَدُورُ بَيْنَ (عَبْدِ الْمُطْلَبِ) وَأَبْنَائِهِ بَعِيدًا عَنْ
أَسْمَاعِ (مُحَمَّدٍ) ﷺ الَّذِي كَانَ مَشْغُولًا بِالتَّأَمُّلِ وَالتَّفَكُّرِ .

وَعَاشَ (مُحَمَّدٌ) الْيَتِيمُ فِي كِفَالَةِ عَمِّهِ (أَبِي طَالِبٍ) بَعْدَ أَنْ مَاتَ



جَدُّهُ ، فَكَانَ (أَبُو طَالِبٍ) يَعْتَبِرُهُ كَوَاحِدٍ مِنْ أَبْنَائِهِ ، بَلْ إِنَّ حُبَّهُ
(لِمُحَمَّدٍ) كَانَ يَزِيدُ عَلَى حُبِّهِ لِسَائِرِ أَبْنَائِهِ .

وَفِي طِفُولَتِهِ الْمُبَكَّرَةِ ، أَحْسَنُ (مُحَمَّدٌ) بِقِيَمَةِ الْعَمَلِ وَأَهْمِيَّتِهِ ، فَعَمَلَ
فِي رَعْيِ الْأَغْنَامِ ، لِكَيْ يُدَبِّرَ لِنَفْسِهِ وَسِيلَةً لِلْكَسْبِ .

لَقَدْ كَانَ الْعَمَلُ بِالنِّسْبَةِ لِهَذَا الطِّفْلِ الصَّغِيرِ يُمَثِّلُ قِيَمَةً كُبْرَى وَهَدَفًا
سَامِيًّا ، لِذَلِكَ فَسَوَّفَ نَرَاهُ حَرِيصًا عَلَى الْبَحْثِ عَنِ الْعَمَلِ الْمُنَاسِبِ دَائِمًا .

فَعِنْدَمَا بَلَغَ الْعَاشِرَةَ ، خَرَجَ مَعَ عَمِّهِ (أَبِي طَالِبٍ) فِي رِحَالَتِهِ التِّجَارِيَّةِ
خَارِجَ مَكَّةَ ، لِكَيْ يَكْتَسِبَ خِبْرَةً فِي التِّجَارَةِ وَيَتَعَرَّفَ عَلَى التَّجَارِ .

وَكَانَتِ الْبَرَكَةُ تُتَلَازِمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَذْهَبُ إِلَيْهِ ، كَمَا كَانَتِ
الْمُعْجَزَاتُ تَحْدُثُ لَهُ وَيُشَاهِدُهَا الْبَعْضُ .

فَفِي إِحْدَى السَّنَوَاتِ ذَهَبَ (مُحَمَّدٌ) وَهُوَ فِي الثَّالِثَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ
مَعَ عَمِّهِ (أَبِي طَالِبٍ) إِلَى أَرْضِ بَصْرَى فِي الشَّامِ .

وَكَانَ بِهَذِهِ الْأَرْضِ عَالَمٌ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ يُدْعَى (بَحِيرَا) ،
كَانَتِ الْقَوَافِلُ التِّجَارِيَّةُ تَمُرُّ بِهِ ، وَأَخْيَانًا تَجْلِسُ فِي دَارِهِ لِتَرْتَاحَ .

وَبَيْنَمَا كَانَ (بَحِيرَا) وَاقِفًا أَمَامَ بَيْتِهِ رَأَى قَافِلَةً مِنْ قُرَيْشٍ قَادِمَةً مِنْ
بَعِيدٍ ، وَأَمَّعَنَ (بَحِيرَا) النَّظَرَ فَوَجَدَ غَمَامَةً فِي السَّمَاءِ تَسِيرُ مَعَ الْقَافِلَةِ

خُطْوَةً فَخُطْوَةً ، وَلَكِنهَا تُظَلِّلُ غُلَامًا صَغِيرًا بَيْنَهُمْ .

وَعِنْدَمَا مَرَّتِ الْقَافِلَةُ بِبَيْتِهِ أَبْدَى تَرْحَابَهُ بِهِمْ وَدَعَاهُمْ لِتَنَاوُلِ الطَّعَامِ



عنده ، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يفعل فيها ذلك .
وربط (أبو طالب) إبله هو ومن معه ثم أسرعوا إلى بيت (بحيرا) ،
بينما بقي الغلام (محمد) ﷺ بالخارج مُسْتَظِلًّا تحت ظل شجرة .
وراح (بحيرا) يتفحص في الوجوه التي أمامه فلم يلمح الغلام
الذي كانت السحابة تظله ، فسأل (أبا طالب) في لهفة :

- أليس معكم أحد بالخارج ؟

فأجاب (أبو طالب) :

- إنه ابني تركناه بجوار القافلة .

فقال (بحيرا) :

- ادعه فليدخل .

ودعا (أبو طالب) ابن أخيه (محمدًا) ، فأخذ (بحيرا) يدنو منه وهو
يتفحص ملامحه في دقة ، ثم سأله قائلاً :

- يا غلام ، أسألك باللات والعزى ، إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه .

فقال (محمد) :

- لا تسألني باللات والعزى ، فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضى لهما .

فاستحلفه (بحيرا) بالله ، ثم سأله :

- أتحب العزلة ؟

فأجاب (محمد) :



- نَعَمْ .

فَسَأَلَهُ ثَانِيَةً :

- وَهَلْ تُحِبُّ التَّأَمُّلَ فِي النُّجُومِ ؟

فَأَجَابَ :

- نَعَمْ .

فَقَالَ (بَحِيرًا) :

- أَتُلْعَبُ مَعَ الْغُلَّامَانِ كَمَا يَلْعَبُونَ ؟

فَقَالَ (مُحَمَّدٌ) :

- لَا .

فَسَأَلَهُ (بَحِيرًا) :

- أَتَرَى فِي نَوْمِكَ رُؤًى تَصَدِّقُ فِي يَقْظَتِكَ ؟

فَأَجَابَ (مُحَمَّدٌ) :

- نَعَمْ .

وَعِنْدَمَا انْتَهَى (بَحِيرًا) مِنْ أَسْئَلَتِهِ لـ (مُحَمَّدٍ) انْتَفَتَ إِلَى عَمِّهِ (أَبِي

طَالِبٍ) وَسَأَلَهُ :

- خَبِّرْنِي ، مَا هَذَا الْغُلَامُ مِنْكَ ؟

فَأَجَابَ (أَبُو طَالِبٍ) :

- إِنَّهُ ابْنِي .



فَأَنكَرَ (بَحِيرًا) عَلَى (أَبِي طَالِبٍ) قَوْلَهُ وَقَالَ فِي يَقِينٍ :
- مَا هُوَ بِأَبْنِكَ ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَبُوهُ حَيًّا .
فَقَالَ (أَبُو طَالِبٍ) :

- صَدَقْتَ ، هُوَ ابْنُ أَخِي ، وَقَدْ مَاتَ أَبُوهُ ، وَأُمُّهُ حَبْلَى بِهِ ، فَكَفَلْتُهُ
أَنَا لِأَنَّهُ يَتِيمٌ .

وَعِنْدَمَا أَتَمَّ (أَبُو طَالِبٍ) كَلَامَهُ ، هَمَسَ (بَحِيرًا) فِي أُذُنِهِ قَائِلًا :
- صَدَقْتَ ، فَارْجِعْ بَابِنَ أَخِيكَ إِلَى بَلَدِهِ ، وَاحْذَرْ عَلَيْهِ مِنَ الْيَهُودِ .
فَوَاللَّهِ لَئِنْ رَأَوْهُ وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا عَرَفْتُ لَيَبْغُنَّهُ شَرًّا ، فَإِنَّهُ كَائِنُ لَابْنِ أَخِيكَ
هَذَا شَأْنٌ عَظِيمٌ ، نَجِدُهُ فِي كُتُبِنَا وَمَا رَوَيْنَاهُ عَنْ آبَائِنَا .

فَرَجَعَ (أَبُو طَالِبٍ) ، وَكَلَامُ (بَحِيرًا) يُدَوِّي فِي أُذُنَيْهِ . وَازْدَادَ
إِجْلَالُهُ وَحُبُّهُ لَابْنَ أَخِيهِ ، كَمَا اِزْدَادَ حِرْصُهُ وَخَوْفُهُ عَلَيْهِ .

لَقَدْ جَمَعَ (مُحَمَّدٌ) ﷺ فِي طُفُولَتِهِ كُلَّ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ
وَالْأَخْلَاقِ الرَّفِيعَةِ ، وَالْفِكْرِ الصَّائِبِ ، وَالنَّظَرِ السَّدِيدِ الْمَوْفِقِ .

فَإِضَافَةً إِلَى اسْتِثْمَارِهِ لِلْوَقْتِ فِيمَا يُفِيدُ ، وَبَحْثِهِ عَنِ الْعَمَلِ النَّافِعِ ،
كَانَ (مُحَمَّدٌ) ﷺ فِي طُفُولَتِهِ مُبْتَعِدًا عَنِ اللَّهْوِ وَإِضَاعَةِ الْوَقْتِ فِيمَا لَا يُفِيدُ .

فَقَدْ قَالَ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ الْمُبَكِّرَةِ مِنْ عُمَرِهِ :

- « مَا هَمَمْتُ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْمَلُونَ غَيْرَ مَرَّتَيْنِ ،

كُلُّ ذَلِكَ يَحُولُ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ .



« ثم ما هَمَمْتُ بِهِ حَتَّى أَكْرَمَنِي بِرِسَالَتِهِ .

قُلْتُ لَيْلَةً لِلْغَلَامِ الَّذِي يَرْعَى مَعِيَ الْغَنَمَ بِأَعْلَى مَكَّةَ : لَوْ أَبْصَرْتَ لِي غَنَمِي حَتَّى أَدْخُلَ مَكَّةَ وَأَسْمُرُ بِهَا كَمَا يَسْمُرُ الشَّبَابُ !
» فَقَالَ : - أَفْعَلُ .

» فَخَرَجْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ عِنْدَ أَوَّلِ دَارٍ بِمَكَّةَ سَمِعْتُ عَزْفًا .
» فَقُلْتُ : - مَا هَذَا ؟

» فَقَالُوا : - عُرْسُ فُلَانٍ بِفُلَانَةٍ .

» فَجَلَسْتُ أَسْمَعُ . فَضَرَبَ اللَّهُ عَلَى أُذُنِي فَنِمْتُ ، فَمَا أَيقَظَنِي إِلَّا حَرُّ الشَّمْسِ .

» فَعُدْتُ إِلَى صَاحِبِي ، فَسَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ .

» ثُمَّ قُلْتُ لَهُ لَيْلَةً أُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ . فَدَخَلْتُ مَكَّةَ فَأَصَابَنِي مِثْلُ أَوَّلِ لَيْلَةٍ ..

» ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بِسُوءٍ » .

إِنَّ (مُحَمَّدًا) ﷺ عَاشَ طُفُولَتَهُ بَعِيدًا تَمَامًا عَنِ اللَّهِو ، وَشَغَلَ نَفْسَهُ بِالتَّأَمُّلِ فِي الْكَوْنِ وَالتَّفَكُّرِ فِي أَسْرَارِهِ ، وَعَاشَ عَيْشَةَ الرِّجَالِ الْكِبَارِ ذَوِي الْمَسْئُولِيَّاتِ وَالْأَعْبَاءِ الْجَسِيمَةِ .

وَبَحَثَ ﷺ لِنَفْسِهِ عَنْ عَمَلٍ يُنَاسِبُهُ ، فَعَمَلَ فِي رَعْيِ الْأَغْنَامِ ، ثُمَّ اشْتَغَلَ بِالتَّجَارَةِ بَعْدَ أَنْ تَدَرَّبَ عَلَى أَصُولِهَا وَالْمُ بِكُلِّ جَوَانِبِهَا .



وَلَمْ يَعِشْ (مُحَمَّدٌ) ﷺ حَيَاتَهُ كَمَا كَانَ يَعِيشُ أَطْفَالُ مَكَّةَ الْعَادِيِّينَ ،
بَلْ تَغَلَّبَ عَلَى كُلِّ الظَّرُوفِ الصَّعْبَةِ ، وَعَاشَ فِي اسْتِقَامَةٍ وَطَهْرٍ وَرَجُولَةٍ .
وَقَدْ رَأَى أَهْلُ مَكَّةَ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْعَظِيمَةَ فِي (مُحَمَّدٍ) ﷺ مُنْذُ
طُفُولَتِهِ ، فَكَانُوا يُحْضِرُونَهُ اجْتِمَاعَاتِهِمُ الْمُهَيْمَةَ لِكَيْ يَنْتَفِعُوا بِرَأْيِهِ
بِرَغْمِ حَدَاثَةِ سَنَّتِهِ .

فَقَدْ اشْتَرَكَ (مُحَمَّدٌ) ﷺ فِي أَعْظَمِ حِلْفٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَهُوَ (حِلْفُ
الْفُضُولِ) .

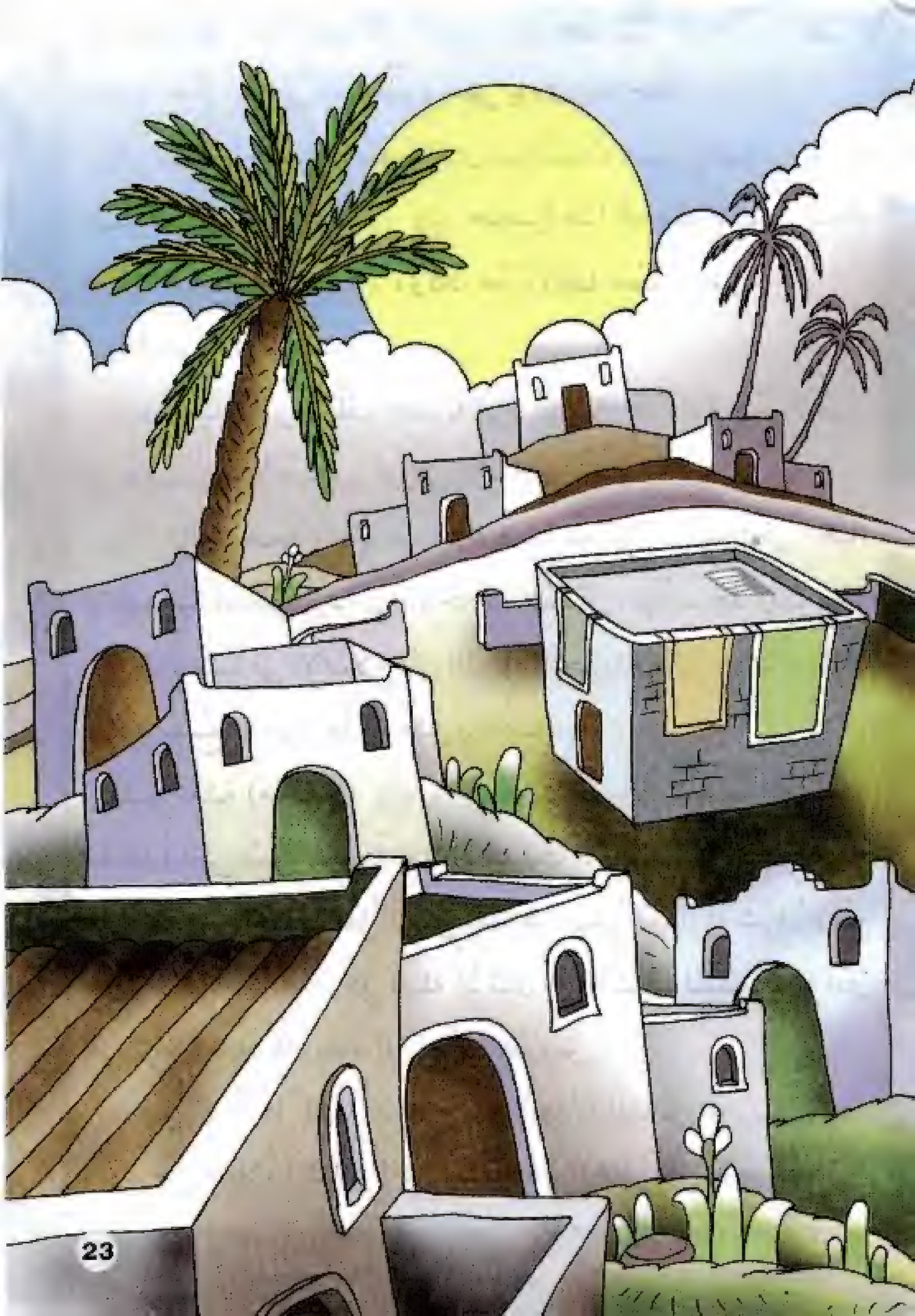
وَقِصَّةُ (حِلْفِ الْفُضُولِ) هَذَا هِيَ مَا يَلِي :
فَقَدْ نَشَبَتِ الْحَرْبُ وَاشْتَدَّ أَوَارُهَا بَيْنَ (قُرَيْشٍ) وَبَعْضِ الْقَبَائِلِ
الْعَرَبِيَّةِ الْآخَرَى .

وِظَلَّتْ هَذِهِ الْحَرْبُ مُشْتَعِلَةً طِيلَةَ أَرْبَعَةِ أَغْوَامٍ كَامِلَةٍ ، وَكَانَ مِنْ
نَتِيجَةِ هَذِهِ الْحَرْبِ : مَقْتَلُ الْعَدِيدِ مِنَ الْأَبْرِيَاءِ مِنْ (قُرَيْشٍ) وَمِنْ
الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ بِدُونِ ذَنْبِ جَنْوِهِ .

وَلَمَّا طَالَ مَدَى الْحَرْبِ ، وَرَأَى شُيُوخُ الْقَبَائِلِ أَنَّ الدِّمَاءَ تَسِيلُ بِدُونِ
وَجْهِ حَقٍّ ، قَرَّرُوا أَنْ يَعْقِدُوا صُلْحًا بَيْنَ الْقَبَائِلِ الْمُتَنَازِعَةِ .

وَدَعَا (الزُّبَيْرُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ) الْقَبَائِلَ الْعَرَبِيَّةَ ، فَاجْتَمَعَتْ
(بَنُو هَاشِمٍ) وَ(زَهْرَةُ) وَ(تَيْمٌ) فِي دَارِ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ) .

وَفِي دَارِ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ) تَعَاقَدَ شُيُوخُ الْقَبَائِلِ وَتَعَاهَدُوا بِاللَّهِ



الْمُنْتَقِمِ الْجَبَّارِ لِيَكُونَنَّ مَعَ الْمَظْلُومِ حَتَّى يُؤَدَّى إِلَيْهِ حَقُّهُ .

وفى هذا الاجتماع المهم الذى لم يشهده سوى زعماء القبائل وشيوخها ، كان (محمد) ﷺ حاضراً هذا الحلف ، الذى سماه العرب بـ (حلف الفضول) ، وكان عمره وقتها خمسة عشر عاماً .
وقال عن هذا الحلف :

– ما أحبُّ أن لى بحلف حضرته فى دار (ابن جدعان) حمراً النعم .
ولو دُعيت إليه لأجبت – أى فى الإسلام .

وإذا كان (محمد) ﷺ قد أدرك قيمة العمل ، وشارك فى الحياة الاجتماعية فحضر المؤتمرات والأحلاف المهمة ، فإنه – منذ وقت مبكر – قد كان سبباً فى الإصلاح بين القبائل المتحاربة وحقق دمائها ، وذلك بما كان يتمتع به من رجاحة عقل وحكمة .

فقبل بعثة (محمد) ﷺ ، اجتمعت القبائل العربية وجمعت الحجارة لكى تبنى الكعبة بعد أن هدمت . وكانت كل قبيلة تعمل على حدة . واختلف أهل قريش وتنازعوا فىمن يكون له شرف وضع حجر الركن ، وأرادت كل قبيلة أن تنال هذا الشرف لنفسها ، مما أدى إلى نزاع شديد كاد يقود إلى حرب ضروس .

وحمل أفراد كل قبيلة السلاح ، واستعدوا للقتال والحرب .
وتدخل عقلاء القبائل لكى يمنعوا هذا الخطر قبل أن يستفحل ،



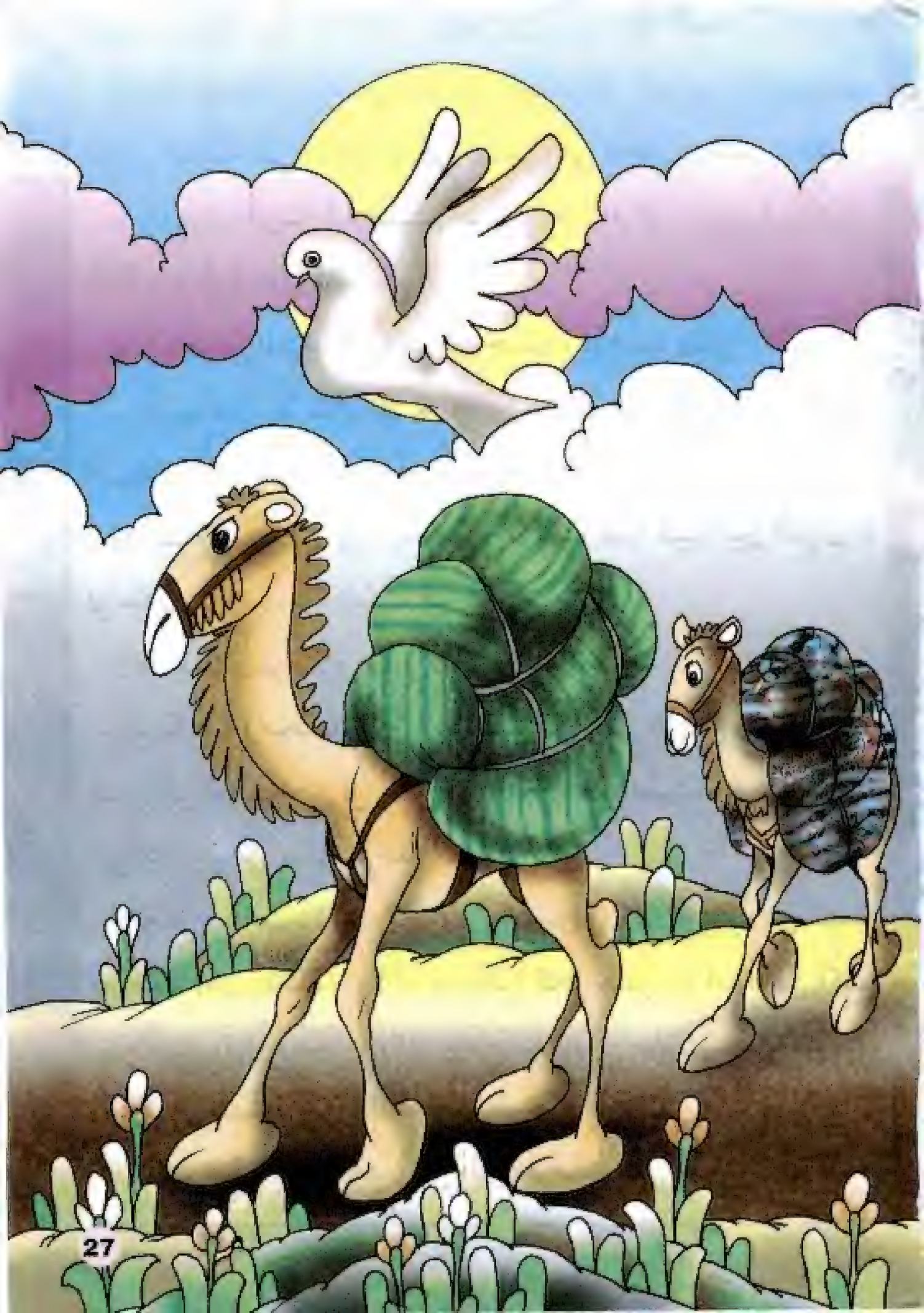
فَأَقْرَحَ أَحَدُهُمْ قَائِلًا :

- يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ! احْقِنُوا دِمَاءَكُمْ ، وَاجْعَلُوا بَيْنَكُمْ - فِيمَا تَخْتَلِفُونَ فِيهِ - أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ هَذَا الْمَسْجِدِ لِيُقْضَى بَيْنَكُمْ فِيهِ .
وَأَعْجَبَ هَذَا الْاِقْتِرَاحُ (قُرَيْشًا) فَوَافَقُوا . وَتَطَلَّعُوا إِلَى أَوَّلِ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ الْبَابِ ، فَكَانَ هُوَ (مُحَمَّدًا) ﷺ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا :
- هَذَا الْأَمِينُ ! هَذَا (مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) . . . رَضِينَا بِحُكْمِهِ .
فَقَالَ أَحَدُهُمْ :

- يَا مُحَمَّدُ ! تَعْلَمُ أَنَّا كُنَّا قَدْ أَجْمَعْنَا رَأْيَنَا عَلَى بُنْيَانِ الْكَعْبَةِ ! وَأَنَّ الْقِبَائِلَ جَمَعَتِ الْحِجَارَةَ لِبَنَائِهَا ، كُلُّ قَبِيلَةٍ عَلَى حِدَةٍ ، ثُمَّ شَيَّدْنَاهَا حَتَّى بَلَغَ الْبُنْيَانُ مَوْضِعَ الرُّكْنِ كَمَا تَرَى ، فَاخْتَصَمْنَا فِيهِ ، كُلُّ قَبِيلَةٍ تُرِيدُ أَنْ تَرْفَعَهُ إِلَى مَوْضِعِهِ دُونَ الْآخَرَى ، حَتَّى كَادَ يَنْشَبُ بَيْنَنَا الْقِتَالُ . . . وَقَدْ رَأَيْنَا الْآنَ أَنَّ نَحْنَكُمْ إِلَيْكَ فِي أَمْرِهِ ، فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِمَا تَرَى .
وَبَعْدَ تَفْكِيرٍ قَالَ لَهُمْ (مُحَمَّدٌ) :

- هَلُمَّ إِلَى ثُؤْبٍ .

فَاتَوَّهُ بِثُؤْبٍ فَفَرَّشَهُ عَلَى الْأَرْضِ وَأَخَذَ حَجَرَ الرُّكْنِ فَوَضَعَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ :
- لِنَأْخُذْ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثُّؤْبِ ، ثُمَّ ارْفَعُوهُ جَمِيعًا .
فَفَعَلَتْ قُرَيْشٌ ذَلِكَ ، حَتَّى إِذَا بَلَغُوا بِهِ مَوْضِعَهُ ، وَضَعَهُ (مُحَمَّدٌ) بِيَدِهِ ثُمَّ بَنَى عَلَيْهِ .



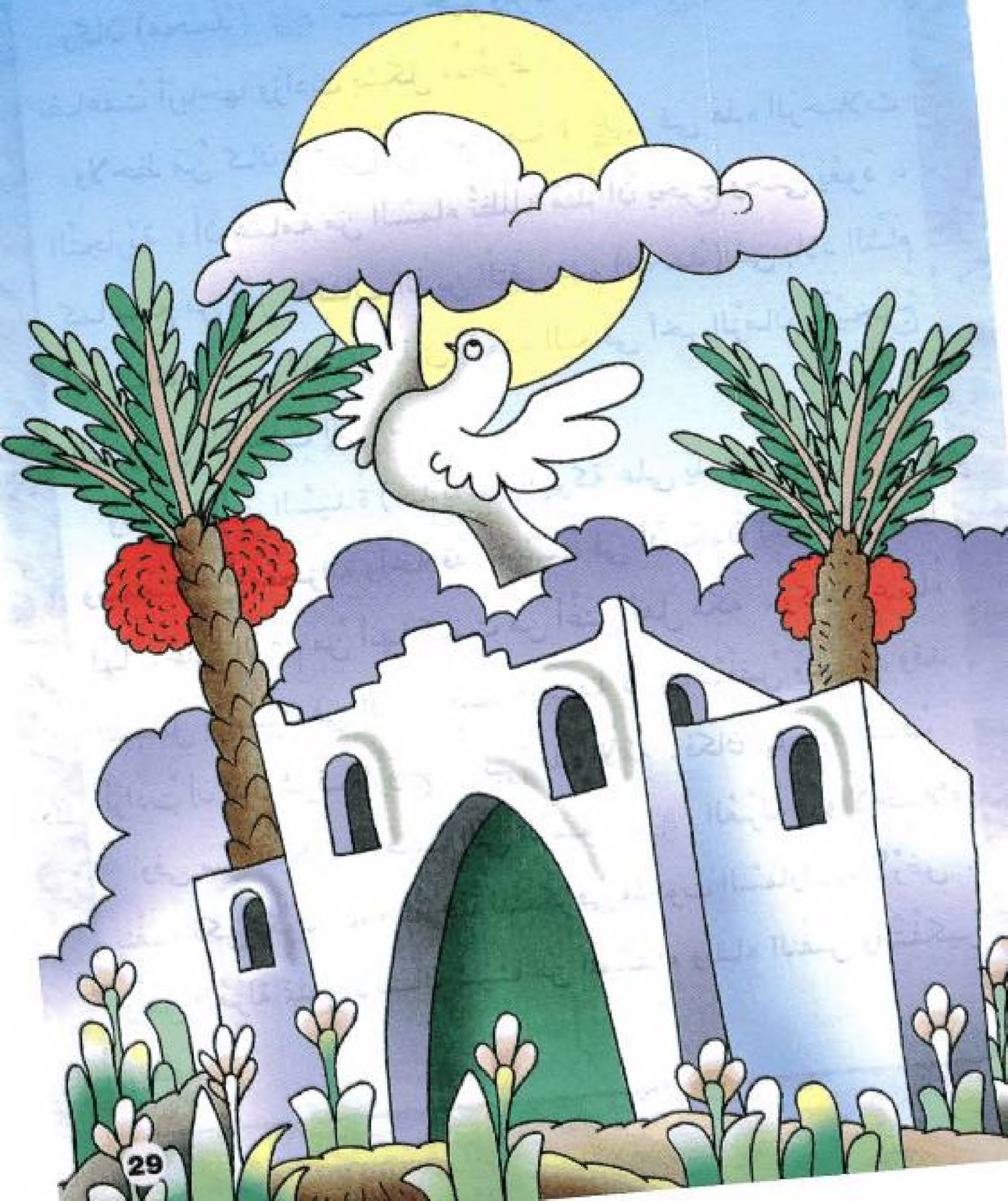
وَحَاوَلَ الشَّيْطَانُ - الَّذِي كَانَ عَلَى هَيْئَةِ رَجُلٍ أُعْرَابِيٍّ - أَنْ يُحَرِّضَ الْقَبَائِلَ الْعَرَبِيَّةَ عَلَى (مُحَمَّدٍ) لِكَيْ يَسْتَمِرُّوا فِي الْحَرْبِ وَالْقِتَالِ ، فَقَالَ :
- يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ ! أَرْضَيْتُمْ أَنْ يَضَعَ هَذَا الرُّكْنَ - وَهُوَ شَرَفُكُمْ -
غُلَامٌ يَتِيمٌ دُونَ ذَوِي أَسْنَانِكُمْ ؟

لَكِنِ الْقَبَائِلَ الْعَرَبِيَّةَ انْتَبَهَتْ إِلَى حِيلَتِهِ ، فَرَجَمُوهُ وَقَالُوا :
- اغْرُبْ عَنَّا . لَا شَأْنَ لَكَ بِمَا نَحْنُ فِيهِ . إِنَّ هَذَا الْغُلَامَ الْيَتِيمَ لَخَلِيقٌ
أَنْ يَجْمَعَ رَأْيَ الْعَرَبِ يَوْمًا وَأَنْ يُوَحِّدَ النَّاسَ .
وَاسْتَطَاعَ (مُحَمَّدٌ) ﷺ بِحُكْمَتِهِ أَنْ يَمْنَعَ شَرًّا كَبِيرًا بَيْنَ الْعَرَبِ ،
لَوْ حَدَّثَ لِأُرِيقَتْ فِيهِ الدِّمَاءُ أَنْهَارًا .

وَكَانَ ذَلِكَ وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ لَمْ يُوحِ اللَّهُ إِلَيْهِ بَعْدَ .
وَلَمْ يَكْتَفِ (مُحَمَّدٌ) ﷺ بِالْعَمَلِ فِي رَعْيِ الْأَغْنَامِ وَالتَّجَارَةِ مَعَ
عَمِّهِ (أَبِي طَالِبٍ) . . بَلْ عَمِلَ فِي التَّجَارَةِ مَعَ السَّيِّدَةِ (خَدِيجَةَ بِنْتُ
خُوَيْلِدٍ) وَهُوَ فِي بَدَايَةِ مَرَحَلَةِ الشَّبَابِ .

وَالْعَمَلُ مَعَ السَّيِّدَةِ (خَدِيجَةَ) فِي التَّجَارَةِ ، كَانَ يَخْتَلِفُ عَنِ الْعَمَلِ
مَعَ عَمِّهِ (أَبِي طَالِبٍ) ، لِأَنَّهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ كَانَ يَعْمَلُ مَعَ امْرَأَةٍ مِنْ أَكْثَرِ
نِسَاءِ قُرَيْشٍ ثَرَاءً وَجَاهًا ، وَكَانَ يَخْرُجُ ﷺ فِي رِحَالٍ تِجَارِيَّةٍ طَوِيلَةٍ ،
وَيَكُونُ هُوَ الْمَسْئُولَ عَنْ الْقَافِلَةِ وَمَا تَحْمِلُهُ .

وَكَانَتِ السَّيِّدَةُ (خَدِيجَةُ) هِيَ الَّتِي عَرَّضَتْ عَلَى (مُحَمَّدٍ) أَنْ يَعْمَلَ

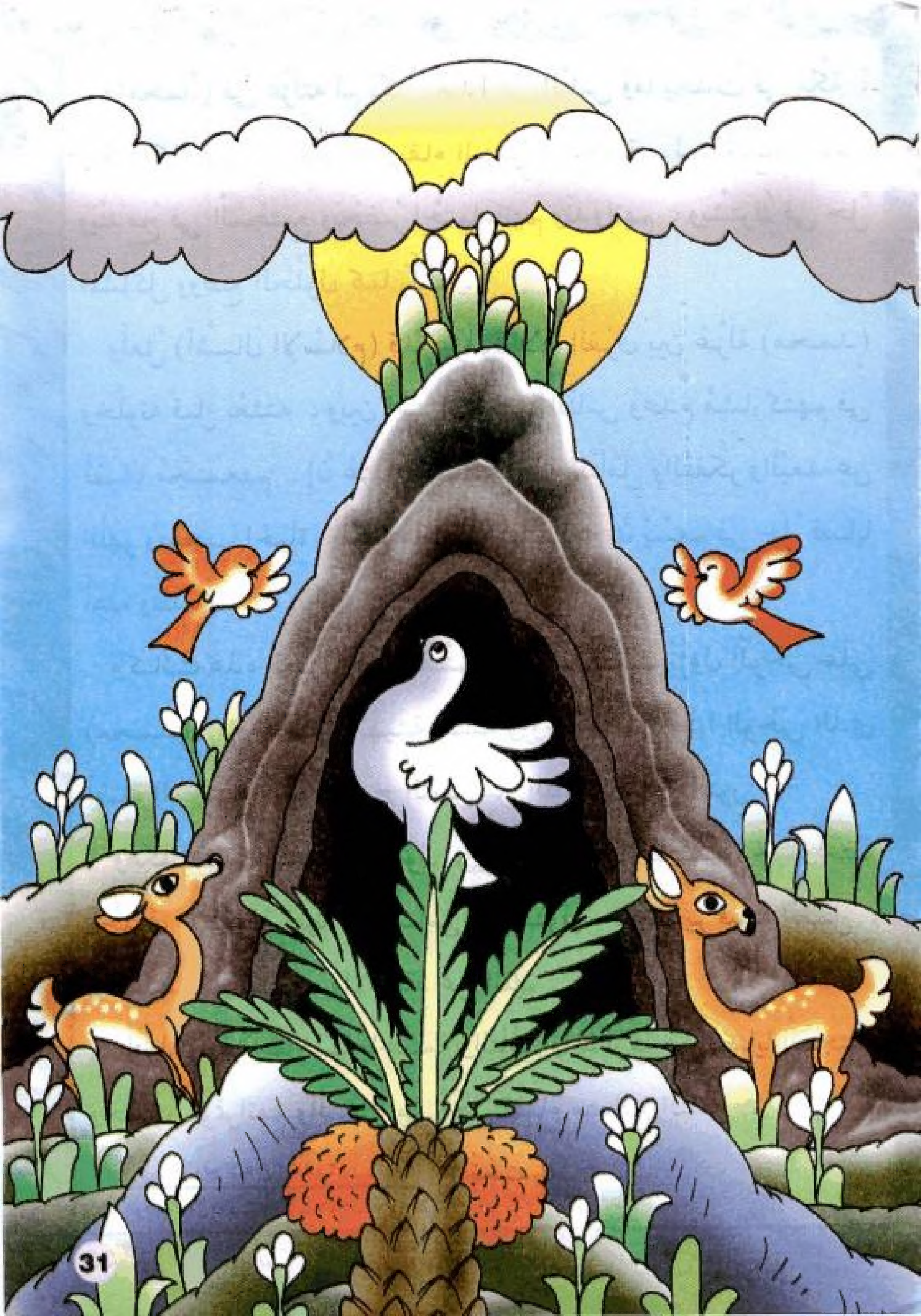


لَدَيْهَا فِي التِّجَارَةِ بَعْدَ أَنْ سَمِعَتْ بِأَمَانَتِهِ وَصِدْقِهِ ، فَهُوَ مَعْرُوفٌ لَدَى أَهْلِ مَكَّةَ بِـ (الصَّادِقِ الْأَمِينِ) .

وَكَانَ (مُحَمَّدٌ) ﷺ سَبَبَ خَيْرٍ وَبَرَكَاتٍ بِالنِّسْبَةِ لِتِجَارَتِهَا ، فَقَدْ تَضَاعَفَتْ أَرْبَاحُهَا وَزَادَتْ بِشَكْلِ مَلْحُوظٍ .

وَلَا حَظَّ مَنْ كَانَ يَخْرُجُ مَعَ (مُحَمَّدٍ) ﷺ فِي هَذِهِ الرُّحَلَاتِ التِّجَارِيَّةِ ، أَنَّ غَمَامَةً مِنَ السَّمَاءِ تُظِلُّهُ مُنْذُ أَنْ يَخْرُجَ وَحَتَّى يَعُودَ ، كَمَا سَمِعَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ اتَّقَى بِهِمْ (مُحَمَّدٌ) فِي بِلَادِ الشَّامِ أَنَّهُ سَيَكُونُ النَّبِيُّ الْمُنْتَظَرُ الَّذِي يَبْعَثُهُ اللَّهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، فَيُخْرِجُ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ .

وَعِنْدَمَا رَأَتْ السَّيِّدَةُ (خَدِيجَةُ) الْبَرَكَاتَةَ عَلَى يَدِ (مُحَمَّدٍ) ﷺ ، وَسَمِعَتْ عَنْ مُعْجَزَاتِهِ وَأَخْلَاقِهِ ، رَغِبَتْ فِي أَنْ يَكُونَ (مُحَمَّدٌ) زَوْجًا لَهَا ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَغْنَى أَهْلِ مَكَّةَ ، وَكَانَ زُعَمَاءُ الْقَبَائِلِ يَرْغَبُونَ فِي الزَّوْاجِ مِنْهَا وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تَرَفُضُ وَتَأْبَى ، وَقَدْ أَرَادَتْ أَنْ تَنَالَ شَرَفَ الزَّوْاجِ مِنْ نَبِيِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ . فَكَانَ لَهَا هَذَا الشَّرَفُ . وَفِي سِنٍّ مُبَكَّرَةٍ ، حُبِّبَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ الْعُزْلَةُ ، وَالْإِخْتِلَاءُ بِنَفْسِهِ لِكَيْ تَكُونَ أَمَامَهُ الْفُرْصَةُ لِلتَّفَكُّرِ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . وَلَعَلَّ الْعُزْلَةَ تَمْنَحُ الْإِنْسَانَ شَيْئًا مِنَ الصَّفَاءِ وَنَقَاءِ النَّفْسِ وَالتَّفَكُّيرِ بِهَدْوٍ .



و(محمد) في عُزْلَتِهِ لَمْ يَكُنْ بَعِيداً عَنِ النَّاسِ وَمَا يَحْدُثُ فِي مَكَّةَ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَتَزَوَّدُ بِالصُّفَاءِ وَنَقَاءِ النَّفْسِ وَالْحِكْمَةِ ، ثُمَّ يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَنْدَمِجُ فِي الْمُجْتَمَعِ وَيَحْضُرُ اجْتِمَاعَاتِهِمْ وَنَدَوَاتِهِمْ ، وَيَشْتَرِكُ فِي حَلِّ الْمَشَاكِلِ وَوَضْعِ الْحُلُولِ كَمَا رَأَيْنَا .

وَلَعَلَّ (أَشْبَالَ الْإِسْلَامِ) قَدْ عَرَفُوا الْآنَ الْفَرْقَ بَيْنَ عُزْلَةٍ (مُحَمَّدٍ) وَخُلُوتِهِ قَبْلَ بَعْثَتِهِ ، وَبَيْنَ اغْتِزَالِ بَعْضِ النَّاسِ وَعَدَمِ مُشَارَكَتِهِمْ فِي قَضَايَا مُجْتَمَعِهِمْ . إِنَّ عُزْلَتَهُ كَانَتْ فُرْصَةً لِلتَّأَمُّلِ وَالتَّفَكُّرِ وَالبُعْدِ عَنِ اللَّهْوِ وَصَخَبِ الْحَيَاةِ ، لَكِنْ هَذَا كُلُّهُ لَمْ يَمْنَعَهُ أَنْ يُسْهِمَ فِي حَلِّ قَضَايَا أَهْلِهِ وَبَلَدِهِ .

وَكَانَتْ هَذِهِ الْعُزْلَةُ فِي الْفَتْرَةِ الَّتِي سَبَقَتْ نُزُولَ الْوَحْيِ عَلَى (مُحَمَّدٍ) ﷺ بِمِثَابَةِ تَهْيِئَةِ نَفْسِهِ وَرُوحِهِ لِتَلَقُّى هَذَا الْوَحْيِ الَّذِي أَضَاءَ الْمُجْتَمَعَ نُورُهُ وَأَخْرَجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ .

وَهَكَذَا كَانَتْ طُفُولَةُ الرَّسُولِ ﷺ مِثَالاً حَيًّا وَتَجَسِيداً لِحَيَاةِ أَكْثَرِ مَخْلُوقٍ ، طُفُولَةً فِيهَا الْإِحْسَاسُ بِالْمَسْئُولِيَّةِ ، وَتَقْدِيرُ قِيَمَةِ الْعَمَلِ ، وَالِاسْتِقَامَةُ وَالطُّهْرُ ، وَالِابْتِعَادُ عَنِ اللَّهْوِ .

طُفُولَةً عُرِفَ صَاحِبُهَا بِالْحِكْمَةِ وَالتَّأَمُّلِ وَالْمِشَارَكَةِ فِي قَضَايَا الْمُجْتَمَعَ وَحُضُورِ مُؤْتَمَرَاتِهِمْ وَالسَّعْيِ مِنْ أَجْلِ قَضَاءِ مَصَالِحِ النَّاسِ .

(تَمَّتْ)

رقم الإيداع : ٢٠٨٠

التزقيم الدولي : ٤ - ٣٠٧ - ٢٦٦ - ٩٧٧